



## الفصل العشرون

### نجم المباراة

#### الثاني والعشرون من شباط عام 2006م



الجو بارد جداً في لندن التي ستقام فيها مباراة الذهاب لربع نهائي دوري الأبطال على ملعب ستامفورد بريدج. لقد كانت أرضية الملعب موحلة؛ ما أثار الكثير من الجدل في الصحافة. فالأجواء مشحونة جداً، وإنجليزية بامتياز.

يجمع اللقاء فريقين على طرفي نقيض، هما: تشيلسي بأسلوبه العقلاني الدفاعي الذي يمتاز بالقوة والاندفاع، ويُعدّ أكثر الفرق إقناعاً في أوروبا. وبرشلونة؛ الفريق ذو المواهب المتعدّدة، المبدع، الذي يتميز بلمسة استعراضية.

يقدمّ البارسا نموذجاً جذاباً لكرة القدم، لكنّه يكون أحياناً هشاً سهل الانكسار. يتصدّر كلا الفريقين الدوري، كلّ في بلده، وقد قدّمَا أداءً مبهراً في نهاية عام 2005م.

يبدأ العام المقبل بالوتيرة نفسها، لكنّ تشيلسي يقع في المحذور؛ إذ تتلقّى شباكه ثلاثة أهداف على ميدان نادي مدلزبرو في أثناء بطولة الدوري، ويفاجأ بإقصائه من كأس الاتحاد الإنجليزي على يد كولشيستر المغمور. وفي المقابل، فقد عانى البارسا في الآونة الأخيرة غياب إيتو الذي يشارك منتخب بلاده في





بطولة كأس الأمم الإفريقية، فضلاً عن الإصابة التي تعرّض لها تشافي؛ إذ أفضى ذلك كله إلى إقصائهم من بطولة كأس الملك على يد ريال سرقسطة، وأدى غياب رونالدينو إلى خسارة الفريق مباراتين في الدوري. تُعدّ الهزيمة أمام فالنسيا أمراً قاسياً؛ نظراً إلى قرب ترتيب هذا الأخير من البارسا، وذلك قلّص فارق النقاط إلى ست.

لندع الظروف المحيطة جانباً، فنحن بصدّد الحديث عن مباراة تُعدّ بالكثير من المفاجآت المثيرة للاهتمام؛ فنجد فيها تنافساً ثنائياً بين صاحب الكرة الذهبية رونالدينو، ووصيفه فرانك لامبارد، وبين أفضل لاعب في إفريقيا إيتو، ووصيفه دروغبا. ولا ننسى المنافسة الثنائية بين المدريين؛ إذ لدينا على الطرف الأول جوزيه مورينيو، ذو الشخصية العاطفية الهستيرية، يقابله على الطرف الثاني ريكارد، الهادئ المتزن، إنهما شخصيتان على النقيض تماماً.

هناك أيضاً موضوع الثأر الحاضر دائماً في كرة القدم؛ فالكلّ ما زال يذكر الهزيمة والأهداف الثلاثة التي سجّلها البلوز في غضون التسع عشرة دقيقة في مرمى البلاوغرانا، في الثامن من شهر آذار عام 2005م، خلال مباراة العودة لدور الستة عشر من دوري الأبطال. وكانت مباراة الذهاب قد انتهت بتقدّم طفيف للبارسا بنتيجة (1-2) على ملعبه، لكنّه أصبح يلهث - من دون جدوى - وراء التعادل بعد ارتكاب بعض لاعبيه عدداً من الأخطاء الدفاعية التي برّرها ريكارد لاحقاً بقلة الخبرة وغياب التركيز.

وعلى الرغم من المجهود الذي بذله رونالدينو، وشلال الفرص الضائعة، فإنّ فريق البارسا ذاك، الذي كان يُعدّ نفسه فريق الأحلام الجديد في النادي، اضطر إلى رؤية منظر مورينيو الذي اندفع إلى أرض الملعب بعد إطلاق صافرة النهاية، وبدأ بتوزيع القبلات في الهواء على أنصاره. وقد رافق ذلك تعرّض





بعض اللاعبين للإهانة، فضلاً عن التدافع والمشاحنات بين اللاعبين ورجال الأمن، وهي أمور تورط فيها الجميع، حتى المدرب الهولندي.

كانت رحلة العودة إلى الديار مريرة، وقد حُلَّت الأخطاء مرارًا وتكرارًا، وأُتِّهَمَ حكم اللقاء بيير لويجي كولينا (من الصحافة الإسبانية) بالتغاضي عن ركلات جزاء، فضلاً عن عدم مشاهدته اعتداء كارفاليو على فالديز الذي أدى إلى تسجيل جون تيري هدفاً، لتصبح النتيجة (2-4) لصالح تشيلسي؛ أي إنه اتُّهَمَ بمحاباة النادي اللندني.

من المعروف أنّ التاريخ يكون حاضرًا في مناسبات مثل هذه. ويطلق العنان لكثير من العناوين على صفحات الجرائد الرياضية جميعها، ويُوجد ما يشبه مسلسلًا تلفزيونيًا دراميًا يُدعى «الانتقام».

يزداد التوتر بين اللاعبين الذين ينزلون إلى أرضية الملعب الساعة 8:45 مساءً. ثم تُعلن تشكيلة الفريقين؛ يغيب دروغبا عن التشكيلة الأساسية لتشيلسي، ويسدّ مكانه في الهجوم هرنان كريستو، في حين تتأكد مشاركة آسيير ديل أورنو وكلود ماكيليلي في الخط الخلفي. بينما ينضم تياغو موتا إلى آدميلسون في خط وسط البارسا. يجلس أندرياس انيستا على مقاعد البدلاء، مع أنّه لعب ضمن التشكيلة الأساسية في الآونة الأخيرة. بعد قليل، يدخل ليوميسي الملعب، بقميصه الأصفر البراق الذي يحمل الرقم (30)، ويبدو حينئذٍ - بالنسبة إلى الكثيرين - مجرد صبي كبير. كيف سيتعامل مع هذا النوع من التوتر الذي يُعدّ شديد الوقوع حتى على بعض اللاعبين المخضرمين؟ يبدو أنّه لا يشعر بالضغط أو الانفعال. هل ذلك ناتج من نقص في الانضباط لدى هذا اللاعب الشاب؟ أو أنّه - ببساطة - لا يخشى تلك الأجواء؟





تأتي الإجابة في الدقيقة الثالثة، عندما يُسدّد الأرجنتيني تسديدته الأولى على مرمى بيتر تشيك، ويتصدّى لها هذا الأخير بسهولة. لا شك في أنّ ليونليس خائفًا. وهو يُثبت ذلك باستمرار في الدقائق التي تلي حين يجري في كلّ موضع متاح مثل فأر صغير. إنّه يوجد في كلّ مكان، يحاول اختطاف الكرة، ويُمزّر بدقة، ويعمل مع زملائه جيدًا، ويحقق أول فرصة حقيقية، ويزرع بذور الخوف في دفاعات تشيلسي. ثمّ نراه يُشكّل كابوسًا لديل أورنو، الذي يقوم بدوره بعرقلة ليون في الدقيقة الحادية والثلاثين، تاركًا علامة على الجورب الأيمن لهذا الأخير. لكنّ البرغوث لا يُحذّر أو يعترض. يستمر اللعب. ولكن، بعد ست دقائق، يؤدي تدخّل عنيف من المدافع الباسكي إلى تلقيه بطاقة حمراء، تاركًا تشيلسي تُكمل المباراة بعشرة لاعبين. ما الذي يحدث؟ سيطر ميسي على الكرة في منتصف ملعب الخصم، ويحافظ عليها على الرغم من التدخّل القوي والصراع (كثفًا لكثف) مع روبن، وينجح هذا الأخير في انتزاع الكرة، لكنّ اللاعب الصغير لا يستسلم. فيلحق روبن إلى حدود الملعب، ويحاول التغلّب عليه من الجهات كلّها. وفي نهاية المطاف، يُفجّر قدرًا غير متوقّع من الطاقة، ويحصل على الكرة قرب الراية الركنية. روبن أمامه الآن، لكنّ ليونينج في إمرار الكرة من بين قدميه، وعندها يصدمه القطار.

يشرح اللاعب الأرجنتيني لاحقًا ما حدث بقوله: «لقد شاهدت المدافع متجهًا نحوي بسرعة وإصرار، فحاولت أن أفزّز مبتعدًا عنه، لكنني لم أنجح». يسقط صاحب القميص الأصفر على الأرض بصحبة ديل أورنو، فيتخلّق بقية اللاعبين حولهما متسببين في جلبة. وفي هذه الأثناء، يدخل روبن وغوديونسن في جدال مع الحكم المساعد. يحدث احتكاك بين ديكو، ورونالدينو بديل أورنو. ثمّ يوشك بويول أن يدخل في عراك بالأيدي مع روبن. يحاول موتا وأدميلسون تهدئة الأجواء. يتجادل جون تيري مع الحكم النرويجي تيري هوغ، بينما يهمس





روني بشيء في أذن هذا الأخير. ثم تأتي البطاقة الحمراء، فيحتج ديل أورنو، ويصفق موتا، ويعترض ماكيليلي.

تُستأنف المباراة من جديد، في حين يحاول مورينيو إعادة ترتيب أوراقه؛ فيسحب جو كول، ويُقحم الظهير الأيمن جيريمي، ويُغيّر موقع فيريرا، بحيث يتمكن من مراقبة ميسي. ولكن، لا شيء يتغيّر؛ فلا العنف ولا الضرب الذي تعرّض له اللاعب الشاب أثر في عزمته وحماسه، فيستمرّ في السيطرة على اللقاء؛ لا يهدأ، ولا يلقي بالألحاح لآعبي البلوز، ويستمرّ في أدائه الملحمي المنفرد. ثم نراه يُقوّي دعائم الجهة اليمنى من الملعب، صانعاً فرصاً خطيرة لزميليه ديكورونالدينو، لكنهما يفشلان في استغلالها.

يعاني ليو عزلة شديدة، ويفشل في إحداث تأثير ملموس دون دعم من رفاقه. في غضون ذلك، نرى تشيلسي (المنقوص العدد) يلتزم بالخطة التي رسمها مدرّبه بحذاقها: «أريد التعادل السلبي وحسب». لديهم الآن عذر مناسب للتمرس والتموضع في منطقتهم الخلفية وتحسين الفرص للهجوم. تشيلسي يسيطر على المباراة، ولا ينتظر كثيراً قبل أن يُترجم تلك السيطرة لمصلحته. يتقدّم الفريق الإنجليزي في الدقيقة الثامنة والخمسين بعد الدعم الذي حصل عليه بدخول دروغبا في الشوط الثاني. موتا يحوّل الكرة خطأً في مرماه عند محاولته إبعاد الضربة الحرّة التي نفذها لامبارد. على البارسا قلب الطاولة الآن. ومرة أخرى يظهر ميسي بأدلاً أقصى جهده، ومُحمّساً بقية أفراد الفريق، ومُتجاهلاً صافرات الاستهجان التي تطلقها الجماهير كلّما لمس الكرة. يتجاوز الدفاع بسرعة، ويهيئ تمريرات رائعة، لكن لا أحد في الاستقبال. يركن تسديدة خفيفة من على حافة منطقة الجزاء، لكنّها تلمس القائم الأيسر للحارس وتخرج. يقف مصعوقاً، ثم يرتسم على مُحيّاه تعبير مليء بالسخرية،





## ميسي

كأنه يسأل نفسه: ماذا عليّ أن أفعل أكثر من ذلك؟ إنه الأكثر عزيمة، وأخيرًا يستمد الفريق بعضًا منها، فيساندونه.

يقلب تيري الموازين لمصلحة البارسا في الدقيقة السبعين حين يُحوّل الركلة الحرّة التي نفذها رونالدينو في شباك بيتر تشيك، ويعادل النتيجة. بعدها يبدأ البارسا بلعب كرة قدم حقيقية، وصنع فرص. يظهر ميسي من جديد، يُمرّر تمريرة ذهبية للارسون الذي دخل محلّ موتا. بعدها بثلاث دقائق، يرتمي تيري على الأرجنتينيين داخل منطقة الجزاء؛ لمنعه من السيطرة على الكرة. هل هنالك ركلة جزاء؟ الحكم لا يُعلن عن شيء. وفي الدقيقة التاسعة والسبعين، يُحوّل إيتو برأسه تمريرة من ماركيز إلى داخل الشباك. لقد نجحوا.

كانت تلك أول هزيمة يتعرّض لها فريق جوزيه مورينيو على أرضه من أصل (49) مباراة (38 فوزًا، و11 تعادلًا). لكنّه لا يتقبّل ذلك على نحوٍ جيد؛ فيلقي باللوم على الحكم وليو، قائلاً: «هل أنا ممتعض من طرد ديل أورنوف؟ هل شاهدتم المباراة؟ أنا أخالف أصحاب القرار الرأي، اكتب ذلك إن شئت... لكن، ماذا عسانا نفعل؟ نطالبهم بالتراجع عن البطاقة الحمراء التي تلقّاها ديل أورنوف؟ أو إيقاف ميسي بتهمة التمثيل؟ لم يُغيّر شيئاً من النتيجة... فلنكن صريحين، لقد قام ميسي بالتمثيل. كاتالونيا بلاد تعج بالثقافة، وأنتم تعرفون ذلك. وقد تردّدت على المسارح كثيرًا، ولمست مستوى الأداء المتميّز لديهم في التمثيل. لقد تعلّم ميسي من الأفضل...».

وفي المقابل، قال إيتو: «من الواضح أنّ كلّ من يدّعي أنّ ميسي كان يُمثّل لم يشاهد ما حدث فعلاً». ويصّر ريكارد على ذلك قائلاً: «لقد كانوا يضربونه من كلّ حذب وصوب». أمّا ميسي فقال ببساطة: «أعاني جرّحًا على مستوى الركبة، وآخر في الفخذ، وآخر في قدمي. وأعاني كدمات في مختلف أنحاء جسمي، لكنني لا أشعر بالألم؛ لأننا فزنا. لقد كانت حقًا مباراة خارقة».





يتفق الآخرون على احترام المجهود الذي بذله، بدءاً بزملائه الذين يعانقونه وهو يهيم بمغادرة الملعب، وانتهاءً بأنصار النادي الذين جاؤوا إلى لندن، وأخذوا يرددون اسمه. ثم تنهال عليه الأوصاف في اليوم المقبل كالمطر؛ فتارة يتحدث أنصاره عن «التفاني»، وتارة عن «العبقري»، وأخرى عن «اللاعب الماهر»، و«كنز البارسا»، و«ولادة نجم عظيم»، و«الأفضل»، و«الأشجع»، و«الأفضل في المباراة». يقارن أداء ميسي - بالنظر إلى سنّه وهدوء أعصابه - بأداء بيليه في بطولة كأس العالم عام 1958م التي أقيمت في السويد، وبأداء مارادونا في بطولة كأس العالم للشباب عام 1979م، وبأداء كرويف في المباراة التي خاضها فريقه أمام فريق بنفيكا عام 1969م، وبجورج بست. لقد كان يتلقّى المديح من كل مكان، وكأنّه اجتاز امتحان الرجولة بسهولة وتفوّق، وهو أمر استمتع به الفريق بالمعية.

أقيمت مباراة الإياب بكامب نو في السابع من شهر آذار. وفيها تمكّن ميسي من انتزاع الكرة من روبن في الدقيقة الثالثة والعشرين، لينطلق بعدها، لكنّه يضع يده على ركبته اليسرى فجأة، ثمّ يقع على الأرض. قال لاحقاً: «كنت قد أحسست بالألم بعد الاصطدام بويليام غالاس، لكنني قرّرت إكمال الهجوم. وبعد ثوانٍ معدودة أدركت أنني لا أستطيع ذلك».

لم يتعرّض ليو، وقتئذٍ، لأيّ خشونة في التعامل أو ضرب من الخصم، لكنّه كان ملقى على أرضية الملعب. إنّه متجهم من شدّة الألم، يدها تثبتان شعره من الخلف، وتغطيان وجهه؛ كي لا يرى أحد نظرة الخوف التي اعترته. يُطبق الصمت على الجمهور. ثمّ يناظر زملائه بعضهم بعضاً بحزن. وفي نهاية المطاف، يغادر أرض الملعب منفِعلاً، ويحضنه ريكارد في موقف يزخر بالمشاعر الجياشة. إنّه لحظة مؤثرة في لاعب ينال تصفيق تسعين ألف مشجع في كامب نو؛ لا نظير شفقة، بل لأنّه مهندس الانتصار الذي تحقّق في ستامفورد بريدج.





## ميسي

هناك تمزُّق بمقدار أربعة سنتيمترات في الجزء العلوي من عضلة العرقوب اليسرى. يقول أطباء النادي: إنَّ عملية الشفاء ستستغرق مدَّة تتراوح من أربعة إلى ستة أسابيع. لكنَّ الحظَّ يجانب ميسي؛ فعندما حان وقت عودته إلى الملاعب، ظهرت مشكلات جديدة في الموضع نفسه، وهو لا يزال يحسُّ بالألم. كان من المفترض أن يلعب أمام فياريال، لكنَّه لم يتمكن من ذلك، وكذا أمام ميلان في نصف نهائي دوري الأبطال، لكنَّه لن يكون موجودًا آنذاك. وقد طال الأمر ليصل إلى تسعة وسبعين يومًا من دون لعب، وهو الآن يشاهد نهائي دوري الأبطال من على المدرجات.

كان هنالك حديث عن إمكانية لعبه مدَّة قصيرة في تلك المناسبة المهمة التي جمعت البارسا بنادي آرسنال على ملعب فرنسا بباريس، ربَّما لبضع دقائق في آخر المباراة. ولكن، على الرغم من أنَّه كان قد تعافى من إصابته بصورة كبيرة، إلاَّ أنَّ ريكارد لا يخاطر بالنزج به. يفوز زملاؤه في المباراة، ويرفعون الكأس للمرة الثانية في تاريخ النادي. يشعر ليو بالحزن والوحدة، ولا ينزل للحصول على ميداليته.

